المقدمة

يكاد النقاد يجمعون على أن شوقی كان تعويضاً عادلا عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب بعد المتنبی إذ لم يظهر فيها شاعر موهوب، يصل ما انقطع من وحی الشعر، ويجدد ما اندرس من نهج الأدب. ومما لانزاع فيه أنّ شخصية شوقی، ومواهبه الشعرية، تكاد تكون منقطعة النظير، فی تاريخ الأدب العربی. كان شوقی ينقل شعره عن طبع دقيق، وحسّ صادق، وذوق سليم، وروح قوی، فيأتی به مطرد السلک محكم السبک لايشوبه ضعف، ولا لغو، ولاتجوز، ولاقلق. وهوكالمتنبی فی أنه تصرف بين الناس؛ فلابس أولياءهم، وخالط دهماءهم، حتی عرف كيف يصف طبائعهم، ويصور منازعهم. وهومثله فی إرسال البيت النادر، والمثل السائر، والحكمة العالية، مستخلصاً ذلک ممّا يسوق من المعانی المدح أوالوصف أوالرثاء، دون أن يتوحاه أويقصد إليه، وهوكذلک مثله فی أن بيته يفيض بالمعنی البعيد المبتكر فيضاناً يغرق فيه الذهن أحياناً، فلايصل إلی قاع، ولايرسی إلی ساحل.

كان للأخلاق، نصيبٌ وافرٌ، فی شعره، وهی من خصائص بناء المجتمع السليم. ونلاخظ أنه بنی أسس الأخلاق، علی الشريعة الإسلامية المستقاة من وحی الله، ومن سنّة الرسول (ص) الذی يقول فيه:

يا مَن له الأخلاقُ ما تَهوی العُلا منها، وما يتَعشَّقُ الكبراءُ
لولم تُقِم ديناً، لَقامَت وَحدَها ديناً، تضیءُ بنورهِ الآناءُ

(شوقی، ۱۹۶۴م، ج۱: ۳۵)

فهنا ينبغی لنا أن نُومیءَ بصورة موجزة إلی مولد الشاعر، ونشأته. ثم نشير إلی ثقافته، وآثاره الشعرية، والنثرية قبل أن ندخل البحث الأصلی.

مولده ونشأته

هو أحمد شوقی بن علی بن أحمد شوقی، أشهر شعراء العصر الأخير. كانت ولادته فی القاهرة، سنة ۱۲۸۵ق/ ۱۸۶۸م. (الزركلی، ۱۹۸۰م، ج۱: ۱۳۶؛ الفاخوری، ۱۹۹۱م، ج۴: ۴۸۶؛

العسیلی، ۱۹۹۸م، ج۱: ۵؛ حسن، ۱۹۶۴م: ۳۷) وکانت هذه الولادة مدار جدل، وحوار فیما بعد، لدی الباحثین، والدارسین لشخصیته. فهو حین کان ینادی بالوطنیة، والحریة، وطرد الاستعمار، کان الکثیرون من الذین وضعوا علامة استفهام کبیرة حول نشأته، یعللون مفارقات ولادته، فی الدم الکثیر العناصر الذی یجری فی عروقهِ، والذی یحمل الأصول الترکیة، والشرکسیة، والیونانیة، والعربیة. (طه حسین، ۱۹۳۳م: ۲۷؛ حسن، ۱۹۶۴م:۳۷)

وفی الرابعة من عمره، ألحق بکتاب الشیخ صالح حیث قضی أربع سنوات حافلة بالخشونة، ثم انتقل إلی مدرسة «المبتدیان» الابتدائیة، ثم إلی «التجهیزیة»، ثم التحق بمدرسة الحقوق، وبعد سنتین ترکها، والتحق بقسم الترجمة حیث أتقن الفرنسیة، ونال الإجازة. وقد عطف علیه الخدیوی[1] توفیق عطفاً خاصاً، فعیّن أباه مفتشاً فی الخاصة الخدیویة، وعینّه هو من بعده، وفی سنة ۱۸۸۷م أرسله إلی جامعة «مونبلیة» بفرنسة لإتمام دراسة الحقوق، والآداب. وفی سنة ۱۸۹۱م عاد إلی مصر بعد اطلاع واسع علی الحضارة الأوربیة، والآداب العالمیة. (الفاخوری، ۱۹۹۱م، ج۴: ۴۸۶؛ الزیات، لاتا: ۵۰۰)

ثقافته

إنّ الروایة التی ذکرت عن أحمد شوقی، بأنّه کان دائم النظر إلی السماء فی طفولته، لاتعدو کونها دعابة تظهر الذکاء الذی وُلد معه، أوجعله دائم البحث بین النجوم عن الجدید. وما البحث الذی اشتهر به شاعرنا سوی الثقافة العالیة التی امتاز بها، فی تتبع أثر الشعراء الکبار، أمثال أبی فراس الحمدانی (۳۲۰– ۳۵۷ق)، وأبی العلاء المعری (۳۶۳– ۴۴۹ق)، وأبی العتاهیة (۱۳۰– ۲۱۰ق)، والبهاء زهیر (۵۸۱– ۶۵۶ق)، ومن الذین تأثر بهم أشدّ التأثر فی شعره، أبی الطیب المتنبی (۳۰۳– ۳۵۴ق) وإلی جانب الشعر، درس النثر، وتعمّق فی کتب أعلامه الکبار أمثال الجاحظ (۱۵۹– ۲۵۵ق) الذی أکبّ علی دراسة کتاب الحیوان عنده، والمبرد (۲۱۰– ۲۸۶ق) فی کتابه الکامل، والقالی (۲۸۸– ۳۵۶ق) فی کتابه الأمالی، والأصفهانی (۲۸۴– ۳۵۶ق) فی کتابه الأغانی. (محفوظ، لاتا: ۱۳۳)

۱. الخدیوی: لقب حکام مصر قبل الحرب العالمیة الأولی.

وعمد إلى حفظ الكثير مما فى المعاجم من الألفاظ، ومعانيها، واشتقاقها، وأوزانها، وأصولها، ولم يترک شيئاً يتعلق بها إلا واطلع عليه. (أبوالعز، ۱۹۳۲م: ۸۶) ومن كبار العلماء الذين تتلمذ على أيديهم الشيخ الأزهرى الجليل الشيخ محمد البسيونى، الذى كان مدرساً فى الأزهر. (محفوظ، لاتا:۱۳۳) ومن الشعراء الذين اقتفى أثر القدامى فى شعرهم، وتتلمذ على أيديهم: إسماعيل صبرى (۱۲۷۰– ۱۳۴۱ق) ومحمود سامى البارودى (۱۲۵۵– ۱۳۲۲ق) ونستطيع أن نجد أسماء هؤلاء الذين تأثر بهم فى شعره، ولغته، وأدبه، وثقافته الدينية والدنيوية، فى مقدمة الطبعة الأولى لديوانه (المصدر السابق: الصفحة نفسها) وكانَ مولعاً أشدّ الولع بكتب التاريخ التى أمدّته بماضى مصر، والبلاد العربية، وحضارة الإسلام، وشرعه الحنيف، وكذلک حضارة الفراعنة، وما تتسم به من سماتٍ فريدة الأثر. وإلى جانب ثروته العربية فى مجمع علومه، استطاع أن يجمع له ثقافة أجنبية من خلال اللغات التى أتقنها. وهى التركية التى أحسن استعمالها فى مدرسة الترجمة بمصر، ثم اللغة الفرنسية، وخيرُ من يمدّنا بثقافة شوقى، طه حسين، الذى يقول فيها: «كانَ شوقى مثقفاً يحبّ الثقافة، ويشتدّ فى طلبها، والتزود منها ... .» (حسين، ۱۹۳۳م: ۲۰۰)

وفاته

وفى المرحلة الأخيرة من حياته، كان أحمد شوقى يقوم بأسفار إلى أوربة، وكان فى باريس يتردّد على الكوميدى فرانسيز، ويعالج فن المسرح الشعرى، كما كان يؤثر الاصطياف فى لبنان متمتعاً بجمال أرضه وسمائه، وظلّ كذلک إلى أن توفاه الله فى ۱۳ تشرين الأول سنة ۱۹۳۲م. (الفاخورى، ۱۹۹۱م، ج۴: ۴۸۸؛ الزيات، لاتا: ۵۰۱؛ العسيلى، ۱۹۹۸؛ ج۱: ۷) وحين دفن كتب على قبره بيتان من الشعر مأخوذانِ من قصيدة «نهج البردة» إنفاذاً لوصيته.

والبيتان هما:

يا أحمدَ الخَيرَ، لى جاهٌ بتَسميتى ... وكيف لا يتَسامى بالرسولِ سَمى؟
إن جَلَّ ذَنبى عَن الغُفرانِ لى أملٌ ... فى اللهِ يجعَلُنى فى خيرِ معتصمِ

آثاره

تنقسم نتاجات شوقی إلی قسمین: أولا: النتاجات الشعرية، ثانيا. النتاجات الأدبية، وكلتاهما حافلتان بكل جيد ونفيس. أولا: تنحصر نتاجاته الشعرية: فی ديوان اسمه «الشوقيات» ويقع فی أربعة أجزاء. (الفاخوری، ۱۹۵۳م: ۹۸۶؛ الزيات، لاتا: ۵۰۲؛ الفاخوری، ۱۹۹۱م، ج۴: ۴۸۸؛ خياط وغيره، ۱۳۸۵ش: ۹۲۵) يشتمل الجزء الأول منها علی منظومات حوت شعر الصبا، والمدائح فی «توفيق» و«عباس» وأيضاً تضمن شعر السياسة، والاجتماع، والتاريخ، وقد أشرف علی تصحيحه الدكتور «سعيد عبده» وقدم له الدكتور «محمد حسين هيكل». (هيكل، ۱۹۶۴م، مقدمة الجزء الأول: ۴- ۱۶)

أما الجزء الثانی فقد حوی الوصف، والغزل، وبعض المتفرقات. وقام بتحقيق هذا الجزء، اثنان: هما أحمد محفوظ، ونجل الشاعر «علی شوقی». (الفاخوری، ۱۹۵۳م: ۹۸۷) والجزء الثالث انطوی علی مراثيه كلها، ما عدا اثنتين. الأولی فی «فتحی زغلول» والثانية فی «عبد اللطيف الصوفی». أما الجزء الرابع، فقد تضمن متفرقات من المدائح، والإخوانيات، والأمثال الخرافية، وقام بتحقيقه «سعيد العريان».

وكتاب دول العرب، وعظماء الإسلام، وهی أراجيز تاريخية طبعت بعد وفاته، وقد نظمها شوقی فی فصول من تاريخ العرب الإسلامی حتی الفاطميين. (المصدر السابق: ۹۸۷؛ الزيات، لاتا: ۵۰۲) ويحوی الكتاب علی أرجوزة عارض بها لسان الدين الخطيب «رقم الحلل فی نظم الدول» كما يحوی التعريف ببلاغة العرب، والوطن وماهيته، وتاريخ البيت الحرام، والعرب فی الجاهلية، والسيرة النبوية. وللشاعر أيضاً ست روايات تمثيلية، وضعت بين ۱۹۲۹ و۱۹۳۲م. خمس منها شعرية، وهی: مصرع كليوباترا، قمبيز، علی بک الكبير، مجنون ليلی، وعنترة. وواحدة نثرية هی: أميرة الأندلس. وله أيضاً ملهاتان هما: الست هدی، والبخيلة. وهاتان الملهاتان لم تطبعا. (العقاد، ۱۹۳۷م: ۱۵۵- ۱۸۸؛ خياط وغيره، ۱۳۸۵ش: ۱۲۵؛ بهروز، ۱۳۷۷ق: ۳۶۴)

ثانيا: تنحصر نتاجاته النثرية، فی ثلاث روايات، ومقالات اجتماعية، ومسرحية واحدة هی (أميرة الأندلس). الروايات الثلاث هی: (عذراء الهند) وموضوعها من التاريخ

المصری القدیم العائد إلی زمن رعمسیس الثانی. وقد وضعها سنة ۱۸۹۷م. ورواية (لادیاس) أواخر الفراعنة. وهی صورة لحالة مصر بعد عهد بسمافیک الثانی، أی قبل القرن الخامس المیلادی. (العقاد، ۱۹۳۷م: ۱۵۵– ۱۸۸) ورواية (ورقة الآس) وموضوعها یصل إلی زمن سابور ملک الفرس، ولعلها من نتاج القرن العشرین.

ومن مقالاته الاجتماعية «بنتاؤور»، (الزیات، لاتا: ۵۰۲) وهی نقد اجتماعی، صب أکثره فی قالب مسجع.

وهناک مقالات اجتماعية متنوعة الأوصاف، جمعت سنة ۱۹۳۲م، تحت عنوان: «الأسواق الذهب». وفیها موضوعات: الحرية، والوطن، وقناة السویس، والأهرام، والموت، والجندی المجهول، وقد ذُیلت بطائفة من العبر والحکم القصیرة، استقاها الشاعر من حیاته الشخصية. (الفاخوری، ۱۹۵۳م: ۹۸۹)

أغراضه الشعرية

ینبغی لنا أن نذکر موضوعاً هاماً قبل بیان أغراض شوقی الشعرية، وهو:

لعلّ ازدواج الشخصية عند شوقی، أثّر تأثیراً مباشراً علی أغراضه الشعرية، فجعلها تختلط، ویصبح الغرض متداخلاً مع أغراض أخری، ویمتزج المدح بالاجتماع، والدین بالمدح، والوصف بالتاریخ، رغم کون القصیدة تتعلق بغرض دون غیر. وقد یلحظ القارئ فی قصیدة تنحصر فی المدح، أنها حوت کل أشکال الشعر، وأن شوقی قد أدخل فی غرض المدح أغراضاً أخری، لا صلة لها بهذا النوع من الشعر، بحیث یضیف التاریخ، والوصف، والفخر، دون أن ینسی الدین الذی یمسح به أکثر الأغراض لصوقاً بتعریف وطنیة بلاده. فإذا قرأنا قصیدة، تتعلق بالوصف مثلاً، نجد الروح الوطنیة، تتغلغل ضمن مقاطع الوصف، وتمتزج بالفخر، والمغالاة فی رسم صفحات التاریخ. ویکفی أن نقرأ قصیدته التی یرثی بها «اللورد کارنارفون» مکتشف قبر «توت عنخ آمون» والتی مطلعها:

فی الموتِ ما أعیا وفی أسبابه کلُّ امریءٍ رهنٌ بِطی کتابِه

(العسیلی، ۱۹۹۸م، ج۱: ۸۱)

أو قصيدته فی كبار الحوادث فی وادی النيل، والتی مطلعها:

هَمَّت الفُلكُ، واحتواها الماءُ وَحَداها بِمَن تُقِلُّ الرجاءُ

(المصدر السابق: ۲۰)

حتی نری الحكمة تتوسط مطلع القصيدتين، وتضفی عليهما بعد ذلک مسحة دينية تبعث الرهبة، والقشعريرة فی الجسد، وتدفع دفعاً إلی الأخذ بالنصائح، والاستماع إلی الآراء. ومن أجل ذلک، لانستطيع أن نقف مع أغراض شاعرنا، وقفة صريحة واضحة من حيث تبويب القصائد، وفصل بعضها عن البعض الآخر. إذ قلّما تجد قصيدة، تظهر غرضاً مستقلاً عن بقية الأغراض. وأمّا أغراض شوقی الشعرية فالتاريخ، والمدح، وشعر السياسة، والوطنية، وشعر الاجتماع، والأخلاق، والحكم، والدين، والوصف، والشعر الوجدانی، والغزل، والرثاء، والمثل الخرافی، وسائرالأغراض. (حاج إبراهيمی، ۱۳۸۵ش: ۲۴۷)

شعر الاجتماع، والأخلاق، والحكم

قد تعلق شوقی بأبی تمام، والمتنبی، وأصرّ علی اقتفاء أثريهما فی علو الرفعة، وتبوء المقام الأعلی لدی العامة، والخاصة. ولذا فقد زيّن شعره بالحكمة التی كثرت فی أشعارهما. ورأيناه ينشر فی الحقل الاجتماعی آراء حكمية، ومواعظ أخلاقية، تتجه بالناس إلی الرزانة، والرصانة فی النهج القويم. وهو وإن أدخل هذا النوع من التوجيه الاجتماعی فی الرثاء، والغزل، والتاريخ، والسياسة، إلا أنه أكثر منه فی فن المديح، ليبدو فی شعره ناصحاً للممدوح، هادياً له، لامكتسباً، أو طالباً للوصول. وليبدو – أيضاً – متصلاً بالشعب لالتصاقه بذهنيته، ونوعية تفكيره، وبالتاريخ لأخذ عبره، وخلاصة تجاربه، وبالسياسة لاصلاح مسارها، ووضوح أهدافها. وبما أن الصحافة هی الموجّه الأول لمسيرة الشعب المنضبطة بالقيم الخلقية، فقد قال فی الاحتفال بإنشاء نقابة أصحاب الصحف:

لِكلّ زمانٍ مضی آيةٌ وآيةُهذاالزمانِالصُحُف

(شوقی، ۱۹۹۸م، ج۱: ۱۳۵)

وبعد هذا المطلع المعرف بأهمية الصحافة، ودورها الفعال، لفت نظر أصحاب الرأی إلی البعد عن المتاجرة بالكلمة، وجعل الزهد بالمادة أساساً للعمل الإعلامی:

فيا فتيةَ الصحفِ صبراً إذا نَبا الرزقُ فيها بِكُم واختَلَف
...خُذوا القَصدَ واقتَنِعوا بالكفاف وخَلُّوا الفُضولَ يغُلها السَرَف

(المصدر السابق: ۱۳۵)

إلی هنا يبدو الأمر متطابقاً مع واقع التوجيه، والإصلاح، ويشبه إلی حد كبير زهد ابی العتاهية، وإسماعيل بن القاسم (۱۳۰-۲۱۰ق). ولكن سرعان ما يظهر التناقض فی القصيدة ذاتها، حين يحاول توجيه أنظار الناس إلی الخطّ الذی عليه اعتماد الحياة. وهذا منافٍ للزهد المبنی علی الطموح الروحی. فالزهد معناه البعد عن الطمع، والتكالب علی المادة، وليس معناه القناعة القاعدة عن العمل بانتظار الحظ الذی أشار إليه الشعراء القدامی، وانسداد شعرهم بمعانيه البعيدة عن واقع العمل. وفی هذا يقول:

وَما الرزقُ مجتنبٌ حِرفةً إذا الحظُّ لم يهجر المُحتَرِف
وإذ آخَت الجوهری الحظوظُ كَفَلنَ اليتيمَ له فی الصدف

(المصدر السابق: ۱۳۶)

ونقف علی سبب هذا التناقض، حين نجد شوقی سريع التأثر بأحكام الشعراء السالفين فی الجاهلية، والأموية، والعباسية. فهو لايبنی شعره علی خبرته الذاتية، بل علی آراء الشعراء الماضين، ينهج نهجهم، ويقول قولهم:

طَوَتهُ يدٌ للموت، لا الجاهُ عاصماً إذَا بطشت يوماً، ولا المال فاديا

(شوقی، ۱۹۹۸م، ج۲: ۱۶۰)

فأنت لاتجد فی حكمة هذا البيت، إلا ترداداً لما قاله زهير بن ابی سلمی، أو طرفة بن العبد فی فلسفة الموت، وتحديد أهميته. كما فی قوله:

وبعضُ المنايا تَنزِلُ الشهدَ فی الثری ويحطُطنَ فی التُربِ الجبالَ الرواسبا

ألا ترى أنّ هذا المعنی قد استهلكه الشعراء، وأنهكوا معناه، وهل فيه من جديد يطلُّ علينا؟ ونصل إلی المعنی السطحی المبتذل حين يقول:

... تَخلِطُ العُمرينِ! شيباً وصِباً والحياتَينِ: شَقاءً ورفاها

(شوشة، ۲۰۰۶م: ۲۷۲)

فهو- هنا- لم يأتِ بشيءٍ جديد، بل ردد حكماً، رددها الشعراء من قبله، وتبدو سطحية معانيه فی تكراره للفظ الواحد فی مختلف قصائده بالخلق الكريم، والنفس الأبية، والشهامة العربية. فهذه الألفاظ، وماشابهها نجد تكرارها فی كثير من قصائده: فقد أشار إلى الأخلاق فی أبيات عديدة متشابهة، وكذلک إلى الآباء، والبطولة، والتضحية... إلخ. فإذا أخذنا الصبر مثلاً، ودوره فی تكوين الإرادة، وتعزيز الجرأة، والشجاعة لتحمل الأزراء، والمضی فی طريق الحياة العزيزة البناءة، نجد قوله:

ولا ترى صُحبةً تُرضَى عَواقِبُها كالحقّ والصَّبر فی أمرٍ إذا اصطَحَبا

(شوقی، ۱۹۹۸م، ج۱: ۷۷)

وكمثل قوله:

للترک ساعاتُ صَبرٍ يومَ نَكبتهم كُتبنَ فی صحف الأخلاق بالذَّهبِ

(المصدر السابق:۶۱)

وكمثل قوله:

وأشدّهم صبراً لمعتقداته وتأدّباً لمُجادلٍ ومُحاربِ

(المصدر السابق، ج۳: ۷۷)

وكمثل قوله:

صبراً لباةَ الشَّرقِ كلُّ مصيبةٍ تَبلى على الصبرِ الجميلِ وتخلقُ

(المصدر السابق: ۱۱۰)

والأمثلة على بقية الرموز الخلقية، كثيرةٌ لاتحصى، يوردها على عياهنها دونما مناقشة، أو تحليل. فهو حين يقول:

ومَهدَ العلومِ الخطيرَ الجَلا لِ، وعهدَ الفنونِ الجليلَ الخطر

(شوشة، ۲۰۰۶م: ۱۲۸)

أو يقول:

وأرى العِلمَ كالعبادة فی أبعدِ غاياتِه: إلى الله أدنَى

(شوقی، ۱۹۹۸م، ج۱: ۱۴۳)

يورد لنا رأيه فی العلم دونما مناقشة: فلا يقول لنا شيئاً عن مهد العلوم الخطيرة، ولاعهد الفنون الجليلة، ولايفسر لنا كيف يرى العلم كالعبادة فی بعض غاياته التی تدنيه من الله؟ إنه يبسط رأيه حكمة مجرّدة من أی تفسير، بل يكتنفها الغموض الكامل التجريد. وفی بعض الأحيان، يورد الشاعر توجيهاته وحكمه، ممزوجةً بالوعظ، والإرشاد، تنسجها العاطفة المتداخلة، ضمن الأفكار، والآراء الجامدة الشرح والتفسير. فهو حين يقول:

ويقولونَ: جَفاءٌ راعَهُ مِن أبٍ اَغلَظَ قلباً من حَجَر
وامتحانٌ صَعّبتُه وَطاةٌ شَدَّها فی العلم أستاذٌ نَكِر
لاأرى إلا نظاماً فاسداً فَكّكَ العلمَ وأودى بالأُسَر؟

(شوقی، ۱۹۹۸م، ج۱: ۱۲۶)

يقدم وصفاً ممزوجاً بعاطفةٍ بعيدةٍ عن التفسير، والتعليل. يقول: أبٌ غليظ، وقلبه من حجر. ويقول: امتحان وطأته صعبة. ويقول: نظام فاسد. ولكنه لايفسر ما يقول، بل يترك التفسير للقارئ البعيد عما يراه الشاعر.

وإذا كنا قد بَيّنَّا سلبيات قصائده فی المجتمع العربی، فواجب علينا أن نبين الإيجابيات التی امتاز بها، وكان لها الواقع الحسن فی النفوس. وإيجابياته كثيرة فی قصائده. كمثل قصيدة أيها العمال الذی يعطی فيها نصحه المخلص للنهوض بمصر الجديدة المتوازية، ونهضة العالم المتمدن، ويدعوهم إلى إتقان الصنعة:

إنَّ لِلمُتقِنِ عِندَ اللهِ والناس ثوابا
أتقِنُوا، يحببكم اللـ ـهُ، ويرفعكم جنابا

(المصدر السابق: ۹۰)

ويدعو إلى العلم الذی يعزُّ الشعب، ويرفع الأمم، ويعلی ركن الحضارة التی بها مجد الدولة الصاعدة فيقول فی قصيدة الأزهر:

الغافل الأمی ينطُقُ عندكم كالببغاء، مُردّداً، ومكرّرا

يمسى ويصبحُ فى أوامر دينه وأمورِ دنياهُ بِكُم مُستبصرا
... لاتَجعلوه هوى وخُلقاً بينكم ومَجَرَّ دنيا للنفوسِ، ومَتجَرا

(المصدر السابق: ١٥٣)

وبعد أن يذكر العلم الذى استشهد فى سبيله «سقراط» يتوجه فى قصائده نحو القوة التى هى دعائم نصرة الوطن، وتقدمه، ويهتف بحاكم مصر، وشعبه إلى جعل القوة أساس كل عمل يبعد الخوف، وينهض بالوطن على دعائم الشجاعة، والبطولة الحقة، وذلک من خلال قوله فى «صدى الحرب»:

وما السَيفُ إلا آيةُ الملکِ فى الورى وَلا الأمرُ إلّا للّذى يتَغلَّبُ
فَأدّب به القومَ الطغاةَ، فإنه لَنِعمَ المُرَبّى للطغاة المؤدّبُ

(المصدر السابق: ٤٢)

ويرى من يسمع شعره أنّ القوة كانت الحامية لدين الله، فلولا بطولة محمد(ص) ودفاعه الشريف عن حياض الإسلام، لما انتصر دين الحق على الكفرة الطغاة المارقين:

بِسيفکَ يعلوالحقُّ،والحقُّ أغلَبُ وينصَرُ دينُ اللهِ أيان تَضرِبُ

وهناک قصائد كثيرة يذكر فيها القوة التى تبنى الممالک والدول. ولكنّه لايغفل الأخلاق التى بها تصبح القوة أساس بناء العدل، لاوسيلة إنزال التعسف والظلم. ومن أجل ذلک دعا إلى مزج القوة بالتقوى، والعدل، والتسامح، والزهد بالمادة، ومتفرعاتها المبنية على التكبر، والغرور، وتجنّب الغيبة، والنميمة، والحسد. كما نهى الشباب عن إغراق أنفسهم فى الخمر، والميسر، والتسكع على أعتاب البطالة. ذكر هذا كلّه فى شعره، وقرنه بالأخلاق التى هى أساس كل نهضة دائمة، ومجدٍ مبنى على الحقّ. وقد شاعت أبيات الأخلاق المأخوذة من قصائده. كمثل قوله:

كذاالناسُ بالأخلاق يبقى صلاحُهُم ويذهَبُ عنهم اَمرُهُم حين تَذهَبُ

(حسن، ١٩٦٤م: ١١٣؛ شوقى، ١٩٩٨م، ج١: ٤٦)

وقد جعل شوقى، الأخلاق منارةً للدين، وهدياً للمؤمنين، وبها فوز الناس أجمعين كما فى قوله فى «الهمزة النبوية»:

يا مَن له الأخلاقُ ما تَهوى العُلا　　منها وما يتَعشَّقُ الكبراءُ
لولم تُقم ديناً، لقامَت وَحدَها　　ديناً تُضيءُ بنورِه الآناءُ
زانَتكَ فی الخُلقِ العظيم شمائل　　يغرى بِهنَّ ويولَعُ الكُرَماءُ

(شوشة، ۲۰۰۶م: ۱۷)

وإلى جانب الأخلاق، ذكر البّر والإحسان، وأشاد بالمشاريع الإنمائية التى تبنى اقتصاد الوطن، وترفع من شأن المواطن المندفع فى طريق الخير، كما فى قصيدة «الهلال والصليب الأحمران»:

المحسنون هم اللُّبا　　بُ وسائرُ الناسِ النفاية

(شوقى، ۱۹۹۸م، ج۱: ۲۹۳)

وحين دعا قاسم أمين (۱۲۷۹- ۱۳۲۶ق/۱۸۶۳- ۱۹۰۸م) إلى تحرير المرأة، لم يشارک شوقى فى تلک الدعوة مخافة أن يغضب القصر، وحرصاً على المرأة التى إن رفعت الحجاب، قد تقع على الرجال الجاهلين، الذين يسيئون إليها، ويلحقون بها الأضرار الفادحة. وقدورد هذا فى قصيدته «بين الحجاب والسفور» التى يقول فيها مشبهاً إياها بالبلبل:

إن طِرتَ عن كَتِفى وَقَع　　ست على النسورِ الجُهَّلِ

(المصدر السابق:۱۷۹)

على أى حال، لشوقى قصائد كثيرة، ملأى بالنصائح، والمواعظ المأخوذة من الاجتماعيات الغائصة فى ثنايا الفكر، والنفس البشرية، والمليئة بتأملات فلسفية جديدة. وشوقى وإن أعطانا فى شعر «الاجتماع، والأخلاق، والحكم» كلّ ما يحلم به إنسان عاقل، أو يمر بخاطر أى إنسان، فهو لم يغص فى أعماق النفس، ولم يأت بجديد، بل سارَ على خُطى مَن سبقه، ففى سطحية قريبة من النثر فى الشعر، والعفوية فى الفكر، والآراء.

النتيجة

كان أحمد شوقی رجل الحياة يحبّها، يريد لبلاده عزّة، وتحرّرا من كل قيد، ويريد للشرق تقدماً سريعاً فی سبيل الحضارة والانفتاح، يدعو إلى نبذ الأحقاد، ونشر لواء السلام، والتسامح فی معاملة الناس، والارتفاع عن مقابح الأخلاق السيئة. فقد زين شعره بالحكمة. رأيناه ينشر فی الحقل الاجتماعی آراء حكمية، ومواعظ أخلاقية، تتجه بالناس إلى الرزانة، والرصانة فی النهج القويم. ونحن نجد شوقی سريع التأثر بأحكام الشعراء السالفين فی الجاهلية، والأموية، والعباسية. وهو لايبنی شعره على خبرته الذاتية، بل على آراء الشعراء الماضين، ينهج نهجهم. ويدعو إلى العلم الذی يعزّ الشعب، ويرفع الأمم. وقصارى القول إنّ شوقی شاعر الغزل، وناظم الحوادث، والتاريخ، وصاحب الحكم الرائعة، وترجمان العاطفة الوطنية.

المصادر والمراجع

أبوالعز، أحمد عبدالوهاب. ١٩٣٢م. *اثنی عشر عاماً فی صحبة أمير الشعراء*. القاهرة: لانا.

بهروز، أكبر. ١٣٧٧ش. *تاريخ أدبيات عرب*. تبريز: انتشارات دانشگاه تبريز.

حاج إبراهيمی، محمد كاظم. ١٣٨٥ش. *تاريخ الأدب العربی الحديث*. اصفهان: انتشارات دانشگاه اصفهان.

حسن، عباس. ١٩٦٤م. *المتنبی وشوقی*. القاهرة: دارالمعارف بمصر.

حسين، طه. ١٩٣٣م. *حافظ وشوقی*. القاهرة: لانا.

خياط، جلال وغيره. ١٣٨٥ش. *تاريخ الأدب العربی الحديث*. ترجمة محمود فضيلت. تهران: انتشارات رازی.

الزركلی، خيرالدين بن محمود. ١٩٨٠م. *الأعلام*. الطبعة الخامسة. بيروت: دارالعلم للملايين.

الزيات، أحمدحسن. لاتا. *تاريخ الأدب العربی*. الطبعة الرابعة والعشرون. لانا.

شوشة، فاروق. ٢٠٠٦م. *مختارات من شعر أحمد شوقی*. مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعری: الكويت.

شوقی، أحمد. ١٩٩٨م. *الشوقيات*. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمی.

العسيلی، علی. ١٩٩٨م. *الشوقيات*. بيروت: مؤسسة الأعلمی.

العقاد، عباس محمود. ١٩٣٧م. *شعراء مصر وبيئاتهم فی الجيل الماضی*. القاهرة: لانا.

الفاخوری، حنا. ۱۹۵۳م. *تاریخ الأدب العربی*. الطبعة الثانیة. بیروت: المطبعة البولسیة.
_____ . ۱۹۹۱م. *الموجز فی الأدب العربی وتاریخه*. بیروت: دار الجیل.
محفوظ، أحمد. لاتا. *حیاة شوقی*. القاهرة: لانا.
هیکل، محمدحسین. ۱۹۶۴م. *الشوقیات*. بیروت: لانا.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی